الدراسة التحليلية للتناص القرآني في ديوان كعب بن مالك

أ.م.د. آشور قليج باسة (الكاتب المسؤول)
قسم اللغة العربية وآدابها/ جامعة زابل
الباحث. مسعود باوان بوري الباحثة. مريم دريانورد
قسم اللغة العربية وآدابها/ جامعة الشهيد مدني بأذربيجان/ تبريز/ ايران
الباحثة. حديثة متولي
قسم اللغة العربية وآدابها/ جامعة جرمسار الحرة/ إيران

An Analytical Study of the Quranic Intertextuality in the Divan of Ka'b bin Malik

Ass.Prof.Dr. Ashoor Kulaij Basa (In Charge of Correspondence)
Department of Arabic Language and Literature\ University of Zabil
Ashor_paseh@uoz.ac.ir
Researcher. Mas'ood Bawan Boori **Researcher. Mariam Deryanord**
masoudbavanpouri@yahoo.com m.daryanavard65@gmail.com
Department of Arabic Language and Literature\ University of Al-Shaheed Madani in Azerbaijan\ Tabriz\ Iran
Researcher. Hadeetha Mitwali
Department of Arabic Language and Literature\ Free University of Jermasar\ Iran
Hadiseh.motevali@gmail.com

Abstract

New literary critical opinions have appeared in the second half of the 20th century among which is intertextuality. It is also known as quotation, implication, citing and imitation. Julia Cristeva, a Bulgarian linguist and researcher, was the first to use this term in the sixties. Intertextuality is a new phenomenon that includes old concepts in the Arabic literature. When we read the divan of Ka'b bin Malik, an early Islamic poet, we see that his poetry is rich with the Quranic intertextuality directly or indirectly. The research attempts to elucidate some examples from this intertextuality relying on the analytical-functional model.

Key words: Quranic Intertextuality, Ka'b bin Malik, Early Islamic stage, Quranic vocabulary and concepts

الملخص:

ظهرت آراء نقدية أدبية جديدة في النصف الثاني من القرن العشرين الميلادي والتناص واحد منها والذي يعرف باسم الاقتباس والتضمين والاستشهاد والمحاكاة أيضا. جوليا كريستيفا لغوية وباحثة بلغارية وهي أول من استخدمت هذا المصطلح في الستينيات. التناص في الحقيقة ظاهرة جديدة تشتمل على مفاهيم قديمة في الأدب العربي. زاد شعراء العرب على غناء شعرهم مستلهمين من القرآن الكريم وأقربوه من الفهم العام. وعندما نقرأ ديوان كعب بن مالك شاعر صدر الإسلام نفهم بأن شعره غني بالتناص القرآني بصورة مباشرة أو غير مباشرة. تحاول المقالة على شرح نماذج من التناص القرآني في ديوان هذا الشاعر مستعينا بالنموذج التوظيفي–التحليلي وضمن تبيين معنى التناص. ولهذا قد تطرق الكتاب على تحليل التناص الوجود في شعره على اساس الترتيب الأبجدي للقافية. وقد استخدم في شعره الألفاظ القرآنية الجميلة بصورة منطبقة تماما أو أحيانا مع تغيير طفيف. والموضوعات القرآنية مثل الاستشهاد والجنة والجحيم والتوكل على الله سبحانه وتعالى هي مصدر آخر للفنون الشعرية من كعب بن مالك. وهو في الواقع كان لسان قومه أمام المشركين وردّ الكافرين ردا حاسما.

الكلمات المفتاحية: التناص القرآني، كعب بن مالك، صدر الإسلام، الألفاظ والمفاهيم القرآنية

المقدمة

التناص وأصله (نصص) له معاني مختلفة في الثقافة العربية ومعناه الدارج في الثقافة الغربية: "النص" من حيث اللغوي "الارتفاع" (الزمخشري، 1981: مادة نصص) و"الإظهار" (الزبيدي، 1979: مادة نصص) و"نهاية وآخر شيء" (ابن منظور، 1414: مادة نصص) إذن "النصّ بمعنى الإظهار والتبيين والإنتظام ونهاية وآخر شيء" (فيصل الأحمد، 23:2003). التناص على وزن التفاعل ويدل على المشاركة والتداخل؛ وفي المصطلح بمعنى "إدخال نص سابق في نص جديد" (جابر، 1080:2007). إذن التناص عبارة عن "وضع علاقة تفاعلية بين النص السابق والحاضر لإنتاج نص لاحق" (مرتاض، 75:1991) قال الغذامي في تعريف التناص: "المعنى الإصطلاحي للتناص يعني إدخال عدة نصوص في نص واحد بغض النظر عن الزمان والمكان" (الغذامي، 45:1993). اصطلاح التناص هو ترجمة المصطلح الغربي (intertextuality)(عبد العاطي، 4:1998). ويتفق جميع النقاد تقريبا على أن جوهر الأساس قد شكلّه الشكليون الروسيون وآرائهم إنها فتحت الطريق لظهور مصطلح جديد. وأول شخص دخل في هذا الطريق هو شاكلوفسكي الذي فهم دور الأعمال الفنية في ظهور عمل فني جديد، وهو يقول: "إن العمل الفني يدرك في علاقته مع الأعمال الفنية الأخرى إستنادا إلى العلاقات في ما بينها" (راجع: تئودروف، 41:1990).

بمعنى فكرة إنتقال معنى أو اللفظ أو كلاهما من نص إلى آخر أو إتصال نص بنص أو نصوص أخرى يتفق الباحثون بأن معنى التناص يرجع إلى "ميخائيل بأختين" وبأنه عرّف ظاهرة التناص ولكن دون أن يستخدم هذا المصطلح أو أي كلمة روسية تعادله؛ وهو استخدم مصطلح "إديوليجيم" لأول مرة في 1929 تحت اسم مستعار "ميدفيديف" وفي السنة القادمة باسمه الحقيقي ولكن لم يحظ باهتمام كبير (سومفيل، 61:1998) ولكن الناقدين الغربيين يعتقدون بأن مصطلح التناص قد استخدمه الناقد البلغاري "جوليا كريستيفا" لأول مرة "وفي الحقيقة نحن نحاول في حل مسألة بسيطة وهي أن مصطلح التناص ليس لباختين ويجدر أن ننسبه إلى كريستيفا" (المصدر نفسه:61). والمصطلح المطلوب لكريستيفا قد حظي بقبول كثير "وقد استخدم هذا المصطلح ميشيل إريفي وتيفن ثيودوف وميشيل ريفاتر" (المصدر نفسه:93).

ولقد كان لهذا المصطلح معادلات أخرى في الأدب العربي التي كانت موجودة في القديم وهذا مصطلح جديد "إن التناص مصطلح نقدي جديد الذي لم يكن يعرفه النقد المعاصر العربي حتى أواخر القرن العشرين" (الزغبي، 11:2000). وهذه الكلمة في الفارسية تعرف بعناوين مثل: بينامتني وبينامتنيت "يعتبر التناص في النقد الأدبي كواحد من الآراء الحديثة مما يوحي بموقف جديد في علم النقد" (فصلية الدراسات القرآنية، رقم 16: 23–9) والذي ساعد كثيرا على فهم النصوص والأعمال الأدبية ومن جانب آخر يدل بشكل جيد على أنّ كل أثر مولود أفكار العلماء والأدباء والنصوص الأخرى السابقة ونفس الأثر أيضا يستطيع أن يؤثر على آراء وأفكار الشعراء والأدباء والآثار بعده وأيضا أن ينتج إلى أثر أدبي وفني جديد (فصلية الدراسات القرآنية، رقم 19: 161–147). كعب بن مالك واحد من شعراء صدر الإسلام والذي استمد من الألفاظ والمفاهيم القرآنية في ديوانه وانعكسها بأجمل طريقة ممكنة في شعره.

أدب صدر الإسلام

"الغرض من صدر الإسلام هو مرحلة بدأت بظهور الإسلام وانتهت بسقوط الدولة الأموية، يعني 12 سنة قبل الهجرة حتى سنة 132 الهجري" (العتيق، 5:1422). "في هذه المرحلة ظهر شعر المكافحة الدينية التي كانت في تأييد النبي (ص) ودعمه ومن أشهر شعراء هذه المرحلة: حسان بن ثابت وكعب بن زهير وأبوذؤيب الهذلي والنابغة الجعدي وكعب بن مالك وعبدالله بن رواحة" (الفاخوري، 242:1383).

وقد أشار عمر فروخ في تاريخه إلى اختلاف أغراض ومعاني الشعر في العصر الجاهلي وصدر الإسلام: "يختلف شعر العصر الإسلامي في المعاني والأغراض عن الشعر الجاهلي اختلافا كثيرا وترك المسلمون الأغراض الوثنية مثل القسم بالأوثان

والحديث عن العصبيات القبلية. وقد انخفض الفخر بالخمر والثأر في هذا العصر انخفاضا وحلّت محله المضامين الإسلامية مثل التوحيد والتقوى والجهاد والجنة. وزال الشعر الإسلامي في بعض الأغراض مثل المدح والهجاء والغزل والنسيب ولكن تشكّل مدح النبي (ص) والإسلام ورثاء الشهداء. وتزايد المثل والحكمة لغرض الموعظة والتشجيع إلى المكارم الأخلاقية والتمسك إلى الآداب وكل هذه كانت نتيجة التأثر بالقرآن الكريم والأحاديث الشريفة" (فروخ، 256:1981).

وطبعا عرف أدب صدر الإسلام بأدب المخضرم أيضا ويقول الفروخ عن الأدب المخضرم: "يعرف أدب صدر الإسلام بأدب المخضرم لأن أهل الشعر عاشوا في العصر الجاهلي والإسلامي والشعراء المخضرمون هم الذين أنشدوا في الجاهلية ثم أسلموا واستمروا الإنشاد" (المصدر نفسه:260).

إن الإسلام غيّر الكثير من عادات وسلوك الناس في شبه الجزيرة العربية، يقول حسن ابراهيم حسن عن هذا: "إن الإسلام غير سلوك العرب وساعد على نشر الفضائل والإحسان بينهم حتى عرف رجال منهم بالتقوى والورع" (ابراهيم حسن، 156:1416). يؤكد حنا الفاخوري أيضا على هذا الموضوع في تاريخه: "دون شك للحياة الدينية تأثير فعال على الأدب لأنها أملأه من معاني التقوى والعبادة والعمل الصالح وأجبرت الناس على الزهد والوعظ والإرشاد" (الفاخوري، 316:1986). ويحاول الكاتبون على دراسة وتحليل وسبب استخدام التناص بدراسة ديوان كعب بن مالك على أساس الترتيب الأبجدي للقافية وضمن تبيين نماذج من التناص الموجود في شعره.

سابقة البحث

وبالمراجعة إلى المقالات والمجلات المرتبطة في مجال الأدب العربي يمكن الاستنتاج بأنه حتى الآن كتبت مقالات قيمة عن تأثير القرآن الكريم والتناص في شعر الكثير من الشعراء بشكل عام مثل: التناص الديني في أدب المرأة الكويتية (شعر سعاد الصباح نموذجا) (1389) كتبتها فاطمة ذوالقدر في الرقم 16 للمجلة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها/أشكال التناص الديني في شعر خليل الحاوي (1390) كتبها علي النجفي الإيوكي وفاطمة يكانة في الرقم 6 من مجلة الدراسات في اللغة العربية وآدابها/ التناص القرآني في رواية حكايات حارتنا لنجيب محفوظ (1431) كتبها خليل البرويني ونعيم العموري في الرقم 2 من مجلة آفاق الحضارة الإسلامية/ تناص أشعار عبدالوهاب البياتي مع القرآن الكريم(1390) كتبتها طيبة السيفي في الرقم 5 السنة الثانية للمجلة النصف سنوية التخصصية للبحوث المتعددة التخصصات للقرآن الكريم/العلاقات التناصية الدينية في قصيدة (ثورة في الجحيم جميل الصدقي الزهاوي (1390) كتبها حسين الكياني وفاطمة علي نجاد الجمازكتي في الرقم 21 في مجلة اللجنة الإيرانية للغة والأدب العربي.

ولكن لم نشهد مقالة تطرقت إلى الكعب أو موضوعنا المطلوب للبحث وهذا يتطلب المزيد من البحث عن هذا الشاعر والبحث الحاضر مجرد إشارة إليه. وبالطبع ربما أسود نقطة في حياته هو عدم ولائه للإمام علي عليه السلام وقبول خلافته ولم نر في ديوانه بيتا أشار فيه إلى هذه الشخصية الكبيرة الإسلامية. والأسئلة التي تجيب عنها البحث الحاضر عبارة عن:

كم استفاد كعب بن مالك من القرآن الكريم؟

وكيف استفاد من القرآن الكريم؟

نظرة سريعة على حياة كعب بن مالك

اسمه الأصلي هو عمرو بن القين بن كعب بن سواد بن غنم بن سلمة –بكسر اللام– بن سعد بن علي الأنصاري السلمي– بفتح السين واللام–الخزرجي(راجع ابن عبد البر، 1323:1328). وهو لقّب بالأنصاري لإيوائه المهاجرين ولكونه من أنصار رسول الله (ص) (السمهودي، 1404، 1/ 19). كان الشاعر يمني الأصل ولكنه كان قد نما في عدنان. وعلى اساس غالبية المصادر كنيته ابو عبد الله (البلاذري، 1397، 248/1؛ السيوطي 1958، 425/2) والبعض ذكر كنيته بأبي عبدالرحمن (السهيلي، 1967، 323/2) وذكر ابن حجر كنيته أبا محمد (العسقلاني، 1967، 440/8).

أبوه مالك بن كعب أيضا كان شاعرا وأنشد في الحروب بين أو س وخزرج قبل الإسلام (الأصفهاني، 1285، 226/16). كان الكعب أيضا اشتهر بالشعر (الأصفهاني، 1285، 226/16؛ ابن حزم، 1403: 314) كما قد اشتهر بالعلم والحديث أيضا؛ وهو نقل ثمانين حديثا من النبي (ص) (ابن حزم، 1403: 278) وهو أسلم من البداية وفي اتفاق العقبة الثانية بايع الرسول (ص) مع سبعين رجلا وامرأة (ابن سعد، 1990، 201/5).

التناص القرآني في شعر كعب بن مالك

قد هدد كعب بن مالك في قصيدة أبا سفيان في معركة بدر بألا يعجل وينتبه لأن جيوشا تنزل عليهم من جانب المكة و"روح القدس" (جبرئيل) وأيضا ميكال بينهم وهو استفاد من الألفاظ القرآنية "وآتينا عيسى بن مريم البيّنات وأيّدناه بروح القدس" (البقرة/87) و"من كان عدوّا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإنّ الله عدوّ للكافرين" (البقرة/98)

فلا تعجل أبا سفيان وأرقب جيادَ الخيل تطلع من كداءِ

بنصر الله روحُ القدس فيها وميكالٌ في طيب الملاءِ

(ابن مالك، 1966: 169)

وهو في رثائه للنبي (ص) يراه سراج الهداية الذي ساعدهم في ظلمات الجهل وأراهم الصراط المستقيم "وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا" (الأحزاب/46) وفيما يلي يعتبره "بشيرا ونذيرا" وسراجا يضيء باستمرار ولا ينطفئ أبدا "وما أرسلناك إلّا كافّة للناس بشيرا ونذيرا ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون" (سبأ/28)

نُخصُّ بما كان من فضله وكان سراجاً لنا في الدجا

وكان بشيراً لنا مُنذرا ونوراً لنا ضوءه قد أضا

(ابن مالك، 1966: 173)

كان الشاعر لسان المسلمين أمام المشركين؛ وهو في يوم الخندق أعلن في ردّ عبدالله بن الزبعري بأنّ دين المسلمين أفضل دين أنزله الله الرحيم وفي هذا البيت ذكر عن الصفة الإلهية "الوهاب" (قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب) (ص/35)

أبقى لنا حدثُ الحروب بقيةً من خير نحلة ربِّنا

(ابن مالك، 1966: 178)

ويرى الكعب مكانة السيد حمزة (ع) في "جنان النعيم" وهي من الألفاظ القرآنية (الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم) (الحج/56)

وقتلاهم في جنان النعيم كرامُ المداخل والمخرج

(ابن مالك، 1966: 187)

وفيما يلي يرى الكافرين في الجحيم و"الدرك الأسفل" وهي من الألفاظ القرآنية الرهيبة للكافرين "إنّ المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا" (النساء/145)

أولئك لا من ثوى منكم من النار في الدرك المُرتجِ

ابن مالك، 1966: 188)

ويتطرّق الشاعر مرة أخرى إلى رثاء السيد حمزة (ع) ويشير إلى وقائع معركة أحد وهلاك أمية الجمحي(من قادة الكفار) ويتفرق بين مكانة شهداء المسلمين وقتلى الكافرين ويتحدث عن الجهنم والجنة وفي هذه أيضا إستمدّ من القرآن الكريم "قل أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا" (الفرقان/15)

وأمية الجمحيُّ قَوَّم ميلَه غصب بأيدي المؤمنين مهند

شتّان من هو في جهنم ثاوياً أبداً ومن هو في الجنان مُخلَّد

(ابن مالك، 1966: 191)

وتحدث الشاعر في واحدة من أبياته عن "قول المبين والسداد" وهي من التعابير القرآنية "يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا" (الأحزاب/70)

أجيبونا إلى ما نجتديكم من القول المبيّن والسداد

(ابن مالك، 1966: 193)

التوكل هو اعتماد القلب على الله في الأمور بحيث يفوض العباد جميع امورهم إلى الله ويكفون عن أي قدرة سوى قدرة الله ويرون الله أساسا لأعمالهم ويتأثرون به فقط وإن استطاع المؤمنون أن يجعلوا أنفسهم في هذه الحالة في المجال الروحي والجسمي والفردي والاجتماعي، حينذاك يصبحون من المتوكلين على الله. تحدث الشاعر عن التوكل على الله وعن توكلهم على الله عندما وصلهم إعلان حالة التأهب في معركة الخندق. وهناك آيات كثيرة في هذا الموضوع وهنا نكتفي ببعض منها مثل: :ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا" (الطلاق/3) و"قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون" (التوبة/51)

اذا قالت لنا النُّذر استعدوا توكلنا على ربِّ العباد

(ابن مالك، 1966: 194)

ويرى الشاعر جميع أعمال ومناضلات المسلمين عن إخلاصهم ولأجل الله تبارك وتعالى ويرى المسلمين مطيعين لله ويسأل الله أن يهديهم إلى الصراط المستقيم وفي هذا الموضوع أيضا استلهم من القرآن الكريم "يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد" (الغافر/29)

لنظهر دينك، اللهم انا بكفك فاهدنا سبل الرشاد

(ابن مالك، 1966: 195)

وهو في واحدة من أبياته يشير إلى ثواب الاستشهاد الذي يتمنونه جميع المسلمين ليفلحوا به وربما السبب الأصلي لهذا العمل يكون آيات القرآن الكريم الموحية "ولا تحسبنّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون* فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألّا خوف عليهم ولا هم يحزنون" (آل عمران 169و 170)

يرى القتل مدحاً ان أصاب شهادةً من الله يرجوها وفوزاً بأحمد

(ابن مالك، 1966: 196)

والشاعر في رثاء النبي (ص) يشير إلى أخلاقه الحسن ألذي أشير إليه في القرآن الكريم ويشيد به "وإنك لعلى خلق عظيم" (القلم/4) وأيضا "ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا" (الكهف/17)

لقد ورثت أخلاقُه المجدَ والتقى فلم تلقه إلا رشيداً ومُرشدا

(ابن مالك، 1966: 198)

يرى الشاعر النصر من جانب الله ردا على ضرار بن خطاب في معركة بدر ويتعجب من غلبة فئة قليلة مع معدات قليلة على فئة كثيرة والشاعر يرى ذلك النصر من قدرة الله بأن الله على كل شيء قدير"وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل إن الله قادر على أن ينزّل آية ولكنّ أكثرهم لا يعلمون" (الأنعام/37)

عجبتُ لأمر الله والله قادرٌ على ما أراد، ليس لله قاهر

(ابن مالك، 1966: 200)

يعتبر الشاعر كون بني النجار مع المسلمين ودعمهم للنبي (ص) وتأهبهم للاستشهاد علامة إيمانهم إلى الله تبارك وتعالى والنبي (ص).

وجمعُ بني النجار تحت لوائه يُمشُّون في الماذيّ والنقع ثائر
فلما لقيناهم وكلٌّ مجاهدٌ لإصحابه مستبسل النفس صابر
شهدنا بأن الله لا ربَّ غيره وأنَّ رسولَ الله بالحق ظاهر
(ابن مالك، 1966: 200)

وفيما يلي يشير الشاعر إلى وقائع معركة بدر وسقط فيها عتبة وشيبة من بني تميم على الأرض بينما كفرا بذي العرش ويرى الجهنم والنار عاقبة أمرهما ويشير إلى الجهنم "والذين يقولون ربنا اصرف عنّا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما*إنها ساءت مستقرّا ومقاما" (الفرقان 65و66)

فكبَّ أبو جهل صريعاً لوجهه وعتبة غادرنه وهو عائرُ
وشيبة والتميمَيّ غادرن في الوغى وما منهم إلّا بذي العرش كافر
فأمسوا وقوة النار في مستقرها وكلٌّ كفورٍ في جهنم صائر

(ابن مالك، 1966: 201)

يتحدث الشاعر عن دعوة رسول الله (ص) الكفار إلى قبول الإسلام ولكنهم لم يقبلوا فحسب بل اتهموا النبي (ص) بالسحر "كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون" (الذاريات/52) وأكّد الله أيضا هلاكهم وأيضا لا مانع أمام أمر الله "له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مردّ له وما لهم من دونه من وال" (الرعد/11)

وكان رسول الله قد قال أقبلوا فولوا وقالوا، انما أنت ساحر
لأمرٍ أراد الله أن يهلكوا به وليس لأمرٍ حمّه اللهُ زاجر

(ابن مالك، 1966: 201)

إنّ الشاعر تطرق إلى بني نضير في إحدى قصائده وذكّرهم مقتل كعب اشراف. يرى الكعب كفرهم خزيا لهم رغم كونهم عالمين لأنهم كفروا بالله العزيز واستمروا في كفرهم ورغم أن نزل عليهم نذير من ربهم؛ نذير صادق جاء لهم بكتاب فيه آيات محكمات وبينات ولكنهم مازالوا بقوا على كفرهم ومن أطاع القرآن الكريم فقد هدي إلى الصراط المستقيم والكافرون بالقرآن الكريم سيرون جزاء كفرهم ونرى تأثير الآيات في الأبيات التالية "وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكوننّ أهدى من إحدى الأمم فلمّا جاءهم نذير ما زادهم إلا نفورا" (الفاطر/42) وأيضا "ولقد أنزلنا إليكم آيات مبيّنات ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتّقين" (النور/34)

لقد خزيت بغدرتها الحبورُ كذاك الدهرُ ذو صرفٍ يدورُ
وذلك أنهم كفروا بربٍّ عزيزٍ أمره أمرٌ كبيرُ
وقد أوتوا معاً فهماً وعلماً وجاءَهم من الله النذيرُ
نذيرٌ صادقٌ أدّى كتاباً وآياتٍ مبّينةً تنيرُ
فقال بلى لقد أديتُ حقّاً يُصَدِّقني به الفهمُ لخبيرُ
فمن يتبعه يُهدَ لكلّ رشدٍ ومن يكفر به يُجزَ الكفورُ

(ابن مالك، 1966: 203)

وهجا الشاعر أبا عامر الذي لقبه النبي (ص) بالفاسق والذي كان ملقبا بالراهب في الجاهلية وأيضا أقبح عمل أبا عامر ألذي كان يشجع عشيرته إلى الابتعاد عن الإسلام وهو بالنظر إلى أنه كان يدّعي الشرف النبيل، لقد اشترى إيمانه بالكفر في الماضي.

"معاذ الله" من المصطلحات القرآنية التي استخدمها الشاعر في شعره "قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون" (يوسف/23)

معاذَ الله من عملٍ خبيثٍ كسعيك في العشيرة عبد عمرو
فأما قلتَ لي شرفٌ ونخل فَقِدماً بعتَ إيماناً بكفر

(ابن مالك، 1966: 207)

الشاعر في رثاء السيد حمزة وتعزية أختها صفية ابنة عبدالمطلب يطلب منها ألا تئن لأن السيد حمزة أستشهد لرضى النبي (ص) وطلب رضوان الله والعزة والشرف و"الرضوان وذي العرش ورب العزة" من المصطلحات القرآنية "فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم" (آل عمران/174) و"ذي قوة عند ذي العرش مكين" (التكوير/20) و"سبحان ربك رب العزة عما يصفون" (الصافات/180)

صفيةُ قومي ولا تعجزي وبكي النساء على حمزة
ولا تسأمي أن تطيلي البكا على أسد الله في الهزَّة
فقد كان عزاً لأيتامنا وليث الملاحم في البزَّة
يريد بذاك رضا أحمدٍ ورضوانَ ذي العرش والعزة

(ابن مالك، 1966: 216)

والشاعر يشير إلى قادة المسلمين الذين أمرهم النبي (ص) بإيصال رسالته إلى الناس في إتفاق العقبة الثانية ويرى رأي أبي بن خلف (واحد من كبار المشركين في مكة) باطلا وخطأ وأيضا يشير إلى حصار المسلمين في شعب أبي طالب في أوائل الإسلام ويرى الله راصدا المشركين وهو أيضا من المفاهيم القرآنية "إن ربك لبالمرصاد" (الفجر/14)

أبلغ أبيّاً أنه فال رأيه وحان غداة الشعب والحَين واقع
أبى اللهُ ما منّتك نفسك انه بمرصاد أمر الناس راءٍ وسامع

(ابن مالك، 1966: 219)

وفي معركة أحد يقول الشاعر في رد هبيرة ابن ابي وهب بأن النبي (ص) طلب من المسلمين بأن يبتعدوا عنهم خوف الموت ويقاتلوا كالذي يعطي الحيوة الدنيا آملا القرب إلى ملك معمور ومستقر وأيضا يحملون سيوفهم ويتوكلون على الله الذي يجمع الأمور "ويقولون طاعة فإذا برزوا من عندك بيّت طائفة منهم غير الذي تقول والله يكتب ما يبيتون فأعرض عنهم وتوكّل على الله وكفى بالله وكيلا" (النساء/81)

وقال رسول الله لما بدوا لنا ذروا عنكم هول المنيات واطمعوا
وكونوا كمن يشري الحياة تقرُّباً الى مُلك يُحيا لديه ويُرجع
ولكن خذوا أسيافكم وتوكلوا على الله إن الأمر لله أجمع

(ابن مالك، 1966: 224)

والشاعر مشيرا إلى وقائع غزوة الخندق يعلن بأن الكافرين كانوا يحاولون إبتعاد المسلمين عن دينهم بينما المسلمون يريدون أن يبعدوهم عن الكفر والله عليم بكل شيء وقد جاء النصر من عند الله إلى المسلمين عندما أغضب الكافرون المسلمين "وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشّر المؤمنين" (الصف/13)

يذودوننا عن ديننا ونذودهم عن الكفر والرحمن راءٍ وسامع
اذا غايظونا في مقام أعاننا على غيظهم نصرٌ من الله واسع

(ابن مالك، 1966: 230)

يعلن الشاعر إطاعته النبي (ص) والله الرحيم والرؤوف ومرة أخرى إستخدم الالفاظ القرآنية السامية "آمنوا ربّنا إنك رؤوف رحيم" (الحشر/10)

نطيع نبينا ونطيع رباً هو الرحمن بنا رؤوفا (ابن مالك، 1966: 236)

ويشير الشاعر في شعره إلى الصفات الإلهية مثل الخبير والعزيز "والله بما تعملون خبير" (البقرة/234) و"إنك أنت العزيز الحكيم" (البقرة/129)

أمر الالهُ بربطها لعدوه في الحرب انّ اللهَ خبير موفقِ

ويعيننا اللهُ العزيزُ بقوةٍ منه وصدق الصبر ساعة نلتقي (ابن مالك، 1966: 247)

يرى كعب بن مالك أمر الله محتوما يحدث بالقطع و"بلغت منه التراقي" أيضا من مصطلحات وألفاظ قرآنية التي ظهرت في شعر الشاعر "كلّا إذا بلغت التراقي" (القيامة/26)

ان ينجُ منها ابنُ حرب بعد ما بلغت منه التراقي وأمر الله مفعول (ابن مالك، 1966: 256)

يعتبر الشاعر شهداء حرب مؤتة أشخاصا جمع الله بهم عباده ونزل القرآن الكريم عليهم "ذلك بأنّ الله نزّل الكتاب بالحق وإنّ الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد" (البقرة/176)

قوم بهم عصم الالهُ عبادَه وعليهم نزل الكتابُ المنزل (ابن مالك، 1966: 262)

وتطرق كعب بن مالك إلى معجزات بقية النبيين عليهم السلام التي جاءت في القرآن الكريم وقارنها مع عظمة معجزات النبي (ص). وأيضا أشار الشاعر إلى تكلم موسى (ع) مع جبل طور "وكلّم الله موسى تكليما" (النساء/164) ولكن يرى معراج النبي (ص) أعلى منها "ثم دنا فتدلى* فكان قاب قوسين أو أدنى" (النجم/8 و9) وأيضا يشير إلى حديث النمل مع سليمان (ع) "حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنّكم سليمان وجنوده" (النمل/18) بينما الحصاة الميتة تسبح الله في يد رسول الله (ص)

فإن يكُ موسى كلّم الله جهرةً على جبل الطور المنيف المعظمِ

فقد كلّم اللهُ النبيَّ محمداً على الموضع الأعلى الرفيع المسوّم

وان تكُ نملُ البَرِّ بالوهم كلّمت سليمانُ ذا الملك الذي ليس بالعمى

فهذا نبيُ اللهِ أحمدُ سبّحت صغارُ الحصى في كفِّه بالترنم (ابن مالك، 1966: 270)

النتيجة

قد أثّر القرآن الكريم على الشعر والأدب تأثيرا كثيرا منذ القديم لأنه تحوّل المضامين الشعرية وتأثّر الشعراء بمعانيه وألفاظه السامية بقدراتهم الخاصة. وأيضا كعب بن مالك من شعراء صدر الإسلام استفاد من ألفاظ والمضامين القرآنية النبيلة بوضوح. وهو قد استوعب إيمانه الصادق بالله المتعال والنبي (ص) في أشعاره. وقد استخدم في شعره الألفاظ القرآنية الجميلة بصورة منطبقة تماما أو أحيانا مع تغيير طفيف. والموضوعات القرآنية مثل الاستشهاد والجنة والجحيم والتوكل على الله سبحانه وتعالى هي مصدر آخر للفنون الشعرية من كعب بن مالك. وهو في الواقع كان لسان قومه أمام المشركين وردّ الكافرين ردا حاسما.

المصادر

1.القرآن الكريم

2.ابراهيم حسن، حسن. (1416) ، تأريخ السياسي الإسلام، طبع 14، بيروت: دارا لجيل

3.ابن حزم، علي بن احمد. (1403)، جوامع السيرة النبوية، بيروت: دار الكتب العلمية

4 ابن سعد. (1990)، طبقات الكبرى، تحقيق محمد عبدالقادر عطاء، بيروت: دار الكتب العلمية.

5- ابن عبد البر، يوسف بن عبدالله. (1328)، الاستيعاب في معرفة الاصحاب، بحث على محمد البجاوي، القاهرة: دار المعارف.

6- ابن منظور، محمد بن مكرم. (1414)، لسان العرب، الطبع الثالث، بيروت: دار صادر.
7- الإصفهاني، ابوالفرج. (1285)، الأغاني، بيروت: دار الكتب.
8- البلاذري، احمد بن يحيى. (1397)، انساب الاشراف، بيروت: دار التعارف للمطبوعات.
9- بن مالك، كعب. (1966)، ديوان، بحث سامي المكي العاني، بغداد: منشورات مكتبة النهضة.
10- تئودروف، تزفتان. (1990)، الشعرية، ترجمة الشكري الميخوت ورجاء بن سلامة، الطبع الثاني، تونس: دار توبقال للنشر.
11- جمعة، حسين. (2003)، المسبار في النقد الأدبي، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.
12- الزبيدي، مرتضى. (1979)، تاج العروس، بحث عبد الكريم الغرباوي، كويت: وزارة الإعلام.
13- الزغبي، احمد. (2000)، التناص نظرياً وتطبيقاً، اردن: مؤسسة عمان.
14- الزمخشري، محمود بن عمر. (1981)، أساس البلاغة، بحث عبدالرحيم محمود، بيروت: دار المعرفة.
15- السمهودي، نور الدين علي بن احمد. (1404)، وفا الوفاء باخبار دار المصطفى، بيروت: دار الكتب العلمية.
16- سومفيل، لئون. (1998)، دراسات في النصّ والتناصية، ترجمة الدكتور محمد خير البقاعى، حلب: مركز الإنماء الحضارى.
17- السهيلي، ابو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله. (1967)، الروض الانف في تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة النبوية لابن هشام، قاهرة: دار الكتب الحديثة.
18- السيوطي، عبدالرحمن بن ابي بكر. (1958)، المزهر في علوم اللغة وانواعها، القاهرة: الحلبي.
19- عبد العاطي، كيوان. (1998)، التناص القرآني في شعر أمل دنقل، القاهرة: مكتبة النهضة العربية.
20- عتيق، عبدالعزيز. (1422)، في الأدب الإسلامي والأموي، بيروت: دار النهضة العربية.
21- العسقلاني، ابن حجر. (1967)، تهذيب التهذيب، بيروت: دار صادر.
22- الغذامي، عبدالله. (1985)، الخطيئة والتفكير، الجدة: النادي الرياضي.
23- الفاخوري، حنا. (1383)، تأريخ الأدب العربى، الطبع الثالث، طهران: طبع الحيدري.
24- الفاخوري، حنا. (1986)، تأريخ الأدب العربي، بيروت: دار الجيل.
25- فروخ، عمر. (1981)، تاريخ الادب العربي، بيروت: دار العلم للملايين.
26- فيصل الأحمد، نهلة. (2003)، التناصية والنظرية والمنهج، الرياض: منشورات كتاب الرياض بالسعودية.

مجلات

1- جابر، ناصر. (2007)، التناص القرآنى في الشعر العماني الحديث، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، مجلد12، رقم 4.
2- جربوع, عزة. (2002)، التناص مع القرآن الكريم في الشعر العربي المعاصر، مجلة الفكر والإبداع، رقم 13.
3- مرتاض، عبدالملك. (1991)، فكرة السرقات الأدبية ونظرية التناص، جدة، مجلة علاقات النادى الأدبى الثقافى، رقم22.
4- يلمەها، احمد رضا ومسلم رجبي. (1392)، النظرة التناصية الحديثة إلى الأشعار الولائية لشاهنامة، فصلية الدراسات القرآنية، جيرفت، السنة الرابعة، رقم 16، صص 23- 9.
5- يلمەها، احمد رضا ومسلم رجبي. (1393)، التناص القرآني في غزليات حافظ الشيرازي، فصلية الدراسات القرآنية جيرفت، السنة الخامسة، رقم 19، صص 161- 147.